القوة التأثيرية للخطاب الدينيّ

مقاربة تحليليّة لفتوى الجهاد الكفائيّ

د. أحمد حسين حيال

دكتوراه في النقد الأدبي
وزارة التربية / مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة، العراق
البريد الإلكتروني: almdrs74@gmail.com
موبايل: 07712234653

الاستلام	٢٠١٧\٥\١٢	المراجعة	٢٠١٧\٧\٣٠	النشر	٢٠١٧\٨\٣١

1- الملخص:

نشرع في بحثنا هذا بتحليل لخطبة الجمعة في يوم (14/ شعبان 1436 الموافق 13/ 6/ 2014), في العتبة الحسينية في كربلاء, التي تضمنت إطلاق آية الله السيد علي السيستانيّ فتوى الجهاد الكفائي لتحرير الأرض التي احتلتها تنظيمات (داعش), وهو تحليل نستكشف به مواضع القوة التأثيرية للخطبة في الجماهير, ونتبين فيه الوسائل اللغوية التي ساعدت الخطيب في تحشيد الجماهير نحو الجهة التي يريدها, وكذلك العوامل غير اللغويّة التي اعتمدها المتكلّم في التأثير في المتلقي كالحجج شبه المنطقية. ونقارب التحليل مقاربة حجاجيّة تداوليّة, فنتعرف أثر الروابط والعوامل الحجاجية والسلالم الحجاجية في تغيير قناعة المتلقي وتثبيتها, وما للغة من سلطة على الجمهور, تنكشف للمتابع بعد أن يتبدى تأثير هذه السلطة شاخصًا على أرض الواقع محملاً بمظاهر الطاعة والتلبية.

الكلمات المفتاحية:

التأثير – السلطة - الحجاج

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Force influential religious speech
Approach analysis of Struggle Optional

Dr. Ahmed Hussein Haial

PhD in Literature Criticism

Email: almdrs74@gmail.com

Mobile: 07712234653

Received	12/5/2017	Revised	30/7/2017	Published	31/8/2017

Abstract

We begin our analysis by analyzing the Friday sermon in a day (14 Shaaban 1436 corresponding to 13/06/2014), in the threshold Husseiniya in Karbala, which included the launch of Grand Ayatollah Ali al-Sistani fatwa jihad against the infidels units (isis), An analysis by exploring the influential positions of power in the sermon, and discern the linguistic tools that helped The speaker in rallying the masses around the party that wants, and non-linguistic factors adopted by the speaker in effect in the recipient almost logical arguments. And approach the analysis orbital deliberative approach.

Key Words:

Argumentation – Authority - Influence

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

2- ظروف انتاج الخطاب:

أحيطت الخطبة المدروسة بظروف حساسة مسّت الوجود الوطنيّ والدينيّ للمجتمع في العراق, فدخل المجتمع بموجب هذه الظروف في حالة من الضياع والصدمة, وصار مهددًا بزوال أرضه وماله؛ بل زواله هو نتيجة الهجمة الشرسة من تنظيم (داعش), وكانت البداية الرسمية لهذه المرحلة الجديدة من الأحداث حينما أعلن رئيس مجلس النواب أسامة النجيفي في قناة العراقيّة الفضائيّة: إنّ محافظة الموصل سقطت بيد الإرهابيين وليس ثمة وجود أمنيّ وعسكريّ وإداريّ للحكومة العراقيّة في يوم العاشر من شهر حزيران/يونيو 2014م.

هذه الأحداث الحساسة تطلبت رداً غير تقليديّ, رداً لا يتكئ على ما في أيديّ القوة العسكريّة, رداً صادماً للقوات المحتلّة يساوي الصدمة والذهول المنتشر في الشارع العراقيّ, ومحركاً فاعلاً لجماهير الشعب العراقيّ بانتماءاته كافة, فكانت الفتوى التي امتصت الصدمة وحولتها إلى طاقة منتجة وبثتها نحو الجمهور.

لم يصدر السيد السيستاني فتواه مباشرة بعد علمه بالأحداث، بل إنّه انتظر جمع القراءات للواقع العراقيّ والبحث عن اللحظة المناسبة التي يعلن فيها هذه الفتوى, ولم يكن ثمة مكان وزمان مناسبين كما هو المكان والزمان اللذان قيلت فيهما, فالمكان هو كربلاء ذات البعد القدسيّ عند العراقيين عامّة, والزمان هو يوم الجمعة وفيه تقام صلاة الجمعة, فضلاً على هذا ففيه يتم الاستعداد لإحياء مناسبة النصف من شعبان وهو يوم يحمل الكثير من القدسيّة لدى الشيعة.

ويمكن تحديد القراءات والمعطيات التي ظهرت واضحة أمام السيد السيستاني, والتي جعلته يتحرك لإصدار فتوى الجهاد الكفائيّ بالآتي:

1- لا تقف تهديدات ما يسمى بالدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش) عند حدّ ما, بل هي تطمح للسيطرة على أرض العراق كاملة وتغيير الطبيعة الدينيّة للمجتمع, وهذا واضح بالبيان الذي أصدرته بعد أن سيطرت على محافظتي نينوى وصلاح الدين.
2- القوة العسكرية المتمثلة بالجيش العراقيّ وقوات وزارة الداخليّة عاجزة عن مواجهة التهديد الخارجيّ والخروقات الداخليّة, وقد فرض هذا الضعف ضرورة إشراك قوة إضافية لتدعيم القوات الأمنيّة وتحويلها من قوة مهزومة منكسرة إلى قوة قادرة على ردّ الاعتداءات الخارجيّة والقضاء على الجماعات المسلحة الداخليّة.
3- التهاون مع القوات المهاجمة يجعلها تتمدد وتنتشر بسرعة.
4- حفظ الوطن المال والعرض والدين واجب على الإنسان بغض النظر عن وظيفته ومكانه ومذهبه, فما يحدث في العراق لا يمكن تأطيره بإطار جغرافي أو قبليّ, أو مذهبيّ, فالقضية هي قضية وجود وطن ووجود مواطن في الوقت نفسه.

وبعد أن اكتملت هذه التصورات وغيرها في ذهنية المرجع اختار المكان والزمان المناسبين وحدد موضع كلامه من الخطبتين (الأولى الدينية والثانية السياسيّة), فاختار اطلاق الفتوى في الخطبة الثانية في صلاة الجمعة (السياسية), إذ اعتنى عناية كبيرة بالمتلقي وتحضير ذهنيته لاستيعاب هذا الأمر الجلل؛ فالمتلقيّ ولاسيما العراقيّ لم يتعود على إصدار فتوى من هذا النوع؛ فآخر فتوى في الجهاد الكفائي هي فتوى آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي, (قُتل في كربلاء في 13 ذي الحجة سنة 1338 هـ الموافق آب 1920م) بمواجهة القوات البريطانية المحتلة, ومن الجدير بالذكر أن تلك الفتوى كانت في ليلة النصف من شعبان سنة 1338 هـ الموافق21 أبريل 1920م؛ أي: في اليوم نفسه الذي أصدر فيه السيد السيستاني فتواه.

فراح يُمهّد لهذا الاطلاق بالتلميح والتلويح أثناء خطبته الأولى, ومن الإشارات الواردة على أنه يهيئ ذهن المتلقي لاستقبال الموضوع الأهم, وهو فتوى الجهاد, ما ورد في الخطبة الأولى الذي نذكره على النحو الآتي:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

1- يخاطب المتكلم المتلقين (الحضور والسامعين), قائلاً: ((أيها الأخوة والأخوات ... كيف نستعد لأن نكون من أنصار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ ما هي استعداداتنا لأن نكون جنودًا من جنوده؟ كيف نواجه هذه الفتن الكثيرة والدعوات الباطلة؟ هناك تحديات صعبة داخلية وخارجية وامتحانات عسيرة كيف نواجهها؟ كيف نخرج من هذه الامتحانات بما يرضي الله تعالى والإمام الغائب؟))[1]. ونلحظ في هذه الإشارة القوة الإيحائية التي تحملها العبارات الموجهة للمخاطب نحو (الاستعداد, وجنود, وتحديات), وبهذا الإيحاء جعل ذهنهم يربط كلّ ما سيقال بالناحية القدسيّة للإمام الغائب.

2- لفت المتكلم انتباه المتلقين إلى حالة التكاتف والتآزر وتحمل الصعاب والتضحيات, قال: ((نحتاج هنا أن يوصي بعضنا بعضًا بالصبر والثبات والصمود والاستعداد للتضحية والعمل على التمسك بأحكام الشرع الحنيف والتحلي بمكارم الأخلاق والانقياد لتوجيهات الإمام وطاعته في كلّ شيء)), فهيأ عقول المتلقين لتحمل المصاعب والشدائد وأعلمهم أن ما يقعون فيه من مكاره ليس هو نهاية المطاف, أو أنه نهاية العالم فالمؤمن مبتلى بالصبر والشدائد وما عليه إلا الالتزام بتعاليم الله وطاعة أمر الإمام ونائب الإمام.

3- ضرورة الاستعداد البدني للقتال مع الإمام والتهيؤ للموت في سبيل الله, لذا وجه خطابه نحو المخاطبين (الحاضر والسامع) مطالبًا إياهم أن يستعدوا بدنيًا ونفسيًا للقتال, قال: ((المطلوب الاستعداد البدني والقتالي لأنه لا ندري في أيّ وقت يظهر الإمام ونحن نواجه هذه الفتن الكثيرة المطلوب من كلّ إنسان مؤمن حتى يكون ناصرًا للإمام صلوات الله عليه أن يدرب نفسه على القتال وحمل السلاح في أيّ وقت)), يربط المتكلّم الاستعداد المطلوب بالقدسيّة فهو استعداد للقتال بصف الإمام, فالجهاد إنّما يكون مقدسًا حينما يكون تحت راية الإمام أو نائب الإمام وهي الإشارة الأخيرة التي سماها المتكلّم (التوصية الأخيرة المهمة) ربط فيها بين الإمام الغائب ونائبه المرجع الديني, فقال:

4- ((في حال الغيبة لا يمكن الاتصال المباشر بالإمام عليه السلام كيف نوصل حبل الطاعة؟ حبل الولاء بالإمام الذي لا نستطيع الاتصال به مباشرة, الإمام عليه السلام قال أنا أُعين لكم حججًا لي عليكم إن اطعتموهم إن امتثلتم إليهم إن عملتم بما أرشده إليكم فإنّكم حينئذ ستكونون من الذين وصلوا حبل طاعة الإمام بحبل النبي بحبل الله تعالى, وهم الفقهاء العدول مراجع الدين العظام الذين تتوفر فيهم الشروط التي بينها الإمام سلام الله عليه هؤلاء يجب طاعتهم, يجب الالتزام ببرنامجهم بمنهجهم, بإرشاداتهم, بتوجيهاتهم, ليس فقط في الاستفتاءات, ليس فقط في أحكام الحرام والحلال, ليس فقط في أحكام العبادات والمعاملات؛ بل في كلّ شيء يصدر منهم في كلّ مجالات الحياة)), المراد من حكم العموم في طاعة أوامر المرجع وعدم تقييدها بأحكام العبادات هو ربط حكم الجهاد بالمرجع الجامع للشروط والمقصود هنا صاحب الفتوى السيد السيستانيّ, وجعل قوة صدور الفتوى من المرجع كقوتها حال صدورها من الرسول أو من الإمام. وهذا الأمر فيه التفات إلى موضوع مهم جدًا هو مخالفة الفتوى, فمخالفتها بقدر ما سيؤدي إلى فشل الهدف الذي قيلت من أجله, وهو الدفاع عن أرض العراق ومقدساته, بقدر ما يجعل المتلقي المقصود أمام معصية دينية متمثلة بمعصية الإمام الغائب وهي كبيرة ستجعل المتلقي يتحمل الشدائد والصعاب في سبيل الخلاص منها.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

3- غرض الخطبة أساس تشكل بنيتها:

تتحدد بنية الخطبة بالنظر إلى ماهيتها وغرضها وقصد المتكلم, ونوعية ألفاظها؛ فهذه مجتمعة تشكل لنا خطبة واضحة المعالم والأغراض مفهومة المقاصد, فأما من حيث الماهية, فهي بالأساس تتشكل ضمن إطار طقس عبادي هو صلاة الجمعة تلبية لقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الجمعة:9), فيعمد إمام الصلاة إلى ارتقاء المنبر حال الأذان ويبدأ بإلقاء خطبتين منفردتين مفصولتين بفارق زمني بسيط استراحة للإمام, ولا تختلف خطبتي الجمعة عن الخطب العربية الإسلامية من حيث البناء الخطابيّ, فهي تبدأ بالبسملة والحمد والثناء على الله وتذكير المخاطبين بتقوى الله ثم قراءة سورة من القرآن, ثم الاستراحة قليلاً, والنهوض بعد ذلك إلى الخطبة الثانية فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على محمد وآله ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات, ثم يتطرق للقضايا المراد تبيانها لعامة الناس.

أمّا من حيث الغرض, فهي خطبة دينية سياسيّة, ومادامت الخطبة الدينية تتحدد بأنّها كلُّ خطبة تناولت التذكير بطاعة والدعوة الى إقامة أركان الإسلام, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والتحلي مكارم الأخلاق, والحث على قراءة القرآن, وهي في حقيقتها تشمل كل شؤون الحياة؛ لأنّ الدين الإسلاميّ يقوم على العقيدة والعادة والمعاملة[2], وهذه التعاليم نلمسها واضحة جلية في قول الخطيب: ((المطلوب من الإنسان لكي يكون من المنتظرين الصادقين للإمام ومن الذين يمهدون لظهوره ويكون من جند الإمام ومن مناصري الإمام عليه السلام الإعداد العقائدي المجاهدات النفسانية التغلب على حب الدنيا الطاعة لله والورع عن المحارم والتحلي بمكارم الأخلاق)), كما أن غرضها الخاص هو الاحتفال بولادة الإمام المهدي, وهو حدث له منزلة دينية كبيرة عند الشيعة, يقول الخطيب: ((كيف نحيي هذه الولادة كيف نحيي هذه المناسبة بما يرضي الله تعالى ويرضي الإمام المنتظر؟ كيف نكون؟ كيف نستعد لأن نكون من أنصار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ ما هي استعداداتنا لأن نكون جنوداً من جنوده؟ كيف نواجه هذه الفتن الكثيرة والدعوات الباطلة؟)). نلحظ أنّ الخطيب قد نجح بالمزاوجة بين غرضي الخطبة (الدينيّ والسياسيّ), وربط الموضوعين ربطًا شديدًا وقدمهما للمتلقي؛ كيما يتأسس في الخطبة نمط تأثيريّ ترتفع معه الروح الإيمانية عند المتلقي فيتحرك نحو طاعة أمر الخطيب مقدمًا حفظ الدين والوطن على حفظ نفسه وماله, ومن سمات الخطاب الدينيّ أنه خطاب توجيهيّ جماهيريّ أيّ لا يختص بمخاطبة النخبة بل هو يحاكي انتماءات الجماهير الدينية والمذهبية.

وهذا التشكل والصيرورة لم يجعلها مقتصرة على الهدف الأساسيّ؛ بل حاول الخطيب أن يجعل الخطبة إرشاديّة وعظية عامة, ونستطيع لمح بعض السمات والخصائص العامة لها, نذكر منها الآتي:

1- مناسبتها للجماعة المخاطبة, فالخطيب وجه خطابه نحو جمهور من الشيعة, ولم يعدل بالخطاب عن هذا الجمهور, وظلّ في طول خطبته يناغم معتقداتهم وانتماءاتهم وأفكارهم, يتضح هذا في قوله: ((إنّ الإمام حي يراقب الأمور, يطلع على أعمالنا, على ظروفنا كما ورد في الحديث الشريف. ما هي ثمرة هذا الاستشعار؟ هذا الاستشعار يجعل الإنسان في حالة مستمرة لأعماله وسلوكه وإيمانه وسيرته, استشعار هذا الاطلاع والمراقبة من الإمام عليه السلام تعطي حافزًا ودافعًا للإنسان المؤمن ألا يكون جامدًا ألا يكون خاملاً, ألا يكون يائسًا)).

2- بساطة الأسلوب وسهولته؛ لأنّ الجمهور أغلبه من العامة, وهذا الأسلوب هو الذي ظلّ حاضرًا في مسار الخطيب في الخطبتين؛ فلم يعدل إلى استعمال الأساليب المنطقيّة أو المصطلحات الخاصة بالفقه أو السياسة, فجاءت عباراته واضحة بيّنة يفهمها عامة الناس بغض النظر عن اختلاف مستوياتهم المعرفيّة, وقد اتجه للوضوح في عبارته؛ لجلب انتباه المتلقي وعدم تشتت ذهنه بفعل العبارات المنطقيّة أو المصطلحات الفنية, وهذا ما يتناسب مع الغرض الأساسيّ للخطبة وهو التأثير في المتلقين للاتجاه نحو أمر جلل وهو الجهاد في سبيل الله ضد الجماعات التكفيرية.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ونعتقد أن اشتمال خطبة صلاة الجمعة على هذين الغرضين (الدينيّ والسياسيّ) هو السبب في انتظار السيد السيستاني لإصدار فتواه من يوم الأربعاء الى الجمعة؛ فالخطبة الدينيّة تمتلك قوة توجيهيّة غير قابلة للرد؛ ولا تتمثل بقوة خارجية صادمة للفرد؛ بل هي قوة نابعة من إيمان الفرد بضرورة الطاعة؛ كيما يتحصل على الأجر الأخروي, وقد بذل الخطيب جهده في تحصيل الغاية الأساسية التي من أجلها تُعقد الخطب, وهي ,بحسب أرسطو, اقناع المخاطب وتهيئته للتأثير فيه[3], وهو غرض ظلّ حاضرًا في خطبتنا هذه, فالخطيب عمل بكل وسعه في سبيل التأثير بالمتلقي للوقوف بوجه الجماعات التكفيرية, فجاءت لغة الخطبة هي الترغيب والإقناع بنوعيه الأخروي والدنيوي فمن يقتنع بما قال الخطيب ويتحرك للدفاع عن الوطن والمواطن والمقدسات, لا يخلو من إحراز النصر أو الشهادة التي هي مرتبة عليا يجري خلفها الصالحون المؤمنون؛ فقال: (إنّ من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنّه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى)), وظهرت علامات التأثير والاقتناع بالمتلقي الحاضر مباشرة بعد انتهاء هذه العبارة فصاح الحضور بأعلى صوتهم (اللهم صل على محمد وال محمد), وهو نداء نستشعر منه استعداد الحاضرين لتلبية النداء, والفوز بهذه المنزلة وفرحهم بها.

هذا الغرض وطبيعة الخطبة (الدينية السياسية) جعلا الخطيب ينحو نحو زمر من الألفاظ تضفي على الكلام طابع المشاركة بين المتكلّم والمخاطب, وتجعل المتلقي يتفاعل مع الخطيب ويستجيب لطلبه, من هذه الألفاظ ضمائر المتكلّم بصيغة الجمع, فيقول: ((كيف نواجه هذه الفتن الكثيرة والدعوات الباطلة؟ ... وكيف نواجه هذه التحديات؟ ... ولابد أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا)).

وهذه العبارات تستعمل مؤشرًا على وجود دافع إيحائي يوحي للمتلقين بتوحيد الهموم والمصير بينهما (المتكلم والمخاطب) وأنهم لا ينفصلون عن بعض, ممّا يضفي على الكلام قيمة صدقية جاذبة للمتلقي.

وقد سجّل الفعل الصوتي حضوراً مزدوجًا للمتكلّم وكذلك حضورًا مزدوجًا للمخاطب, فالمتكلّم الأول هو آية الله السيد علي السيستاني صاحب المعاني الأساسية, وربما الألفاظ, ولا سيما في الخطبة الثانية؛ إذ كثيرًا ما عاد الخطيب إلى القراءة من الورقة المكتوبة, وإن غاب ذكر اسمه في الخطبة بصفته قائل الكلام؛ اعتمادًا على علم المتلقين بحصول الوكالة للمتكلم الثاني (الخطيب) الشيخ عبد المهدي الكربلائي, الذي يباشر الخطبة بنفسه.

ولم يكن المخاطبون على صورة واحدة, إنّما هم على نوعين: المتلقي الحاضر: وهو المتلقي الذي حضر في العتبة الحسينية ورأى الخطيب وسمع منه مباشرة, والآخر هو المتلقي السامع عن طريق الفضائيات أو شبكة التواصل الاجتماعيّ. ويسهم المتلقي في صناعة الخطبة باستعماله آلية نستطيع تسميتها بأنها آلية تنشيط الخطاب, فحينما ينهض المتلقي هاتفاً (اللهم صل على محمد وآل محمد) مؤيدًا كلام الخطيب فذلك يدعم الجهة التي قصدها المتكلّم ويصوبها ويرفع من احتماليات نجاحها, كذلك المتلقي غير المباشر إنّ سمع كلام الخطيب عن طريق الواسطة الإعلاميّة وتفاعل معه بالمظاهرات أو الاتصال بالخطيب فهذا إسهام منه يؤشر إلى نجاح الخطبة وتحقق غرضها.

وتعدد هذه المرجعيات عائد إلى طبيعة الخطبة فمرجعيات الخطاب تتسم بالتفاوت والاختلاف تبعًا للمناسبة, والغرض، وتبعاً لشخوص المتكلمين والمخاطبين, ونوع الخطاب، ووظيفته السائدة, فيستعمل الخطيب اللغة بوصفها نظامًا حجاجيًا قادرًا على إحداث التأثير المطلوب وتحويل انتباه المتلقي نحو القضايا المراد التركيز عليها بما تملكه من قضايا معرفيّة وعقائديّة مشتركة بين المتخاطبين.

4- السلطة:

من التحديدات الكثيرة للسلطة هي أنها: ((عدم توازن في القوى, حيث يقع أحد الطرفين فوق حد التوازن في اتجاه ما, في حين يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه. وينشأ عدم التوازن من عدة مصادر, من ذلك: قدرة الإنسان اللغوية ذاتها,

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ووضعه الاجتماعي قياسًا على الآخرين, والقيود التي يفرضها الموضوع, والفروق في العمر, وأشياء أخرى كثيرة))[4], والسلطة التي يمتلكها خطاب فتوى الجهاد لا تتباين مع هذا التحديد للسلطة؛ لأنه أمر صادر من جهة دينية أعلى تمتلك قوة الخطاب المقدس, ومع هذا يجب الالتفات إلى أن عملية التأثير في المتلقي وتغيير قناعاته يمكن عدها سهلة يسيرة مادامت في إطار القناعات الذهنية ولكنها حينما تنتقل إلى عملية تهديد البقاء, أي الموت فهي ليست عملية سهلة, وقد تصرف الدول العظمى الأموال تلو الأموال في سبيل جمع جيش لحرب ما, ولكن السيد السيستاني في خطبة واحدة استطاع تجييش العديد من أبناء العراق, حتى من لم يكن له سابق معرفة بالسلاح؛ والسؤال الذي يجب أن نجيب عنه هنا هو أي سلطةٍ يمتلكها هذا المرجع حرّكت هذا العدد من الجماهير تلبية لخطابه؟ لم تغب السلطة عن ذهن الخطيب ولسان حاله يقول: بأي سلطة تتحرك هذه الجماهير؟ فإن عدنا للخطيب وهو يقول: ((الفقهاء العدول مراجع الدين العظام الذين تتوفر فيهم الشروط التي بينها الإمام سلام الله عليه هؤلاء يجب طاعتهم يجب الالتزام ببرنامجهم بمنهجهم بإرشاداتهم بتوجيهاتهم ليس فقط في الاستفتاءات ليس فقط في أحكام الحرام والحلال ليس فقط في احكام العبادات والمعاملات بل في كل شيء يصدر منهم)), هذا العموم والإطلاق في الصلاحيات, وأن الراد على العلماء كالراد على الإمام والرسول, والراد عليهما كالراد على الله, تجعل المخاطب أمام سلطة تفوق سلطة الحاكم, تفوق سلطة الحكومة, سلطة مطلقة تستمد صلاحياتها من الله العلي القدير العالم بحقائق الأمور, فإن كان المواطن يستطيع أن يهرب من الحكومة باستعماله لوسيلة من الوسائل, فأي وسيلة تجعله يهرب من الله؟ والله حاضر في كلّ مكان ويطلع على الخفايا والأسرار, وعليه فلابد من طاعة الأمر والتوجه نحو القتال مادام مستطيعًا, وإلا صار ملعونًا في الدنيا والآخرة, ولا يعتمد هذا على المحيط الاجتماعي بل هو قضية نفسية ستظل تلاحق الإنسان؛ لأنه يستشعر الذنب ويجلد ذاته ما حيا.

هذه السلطة هي التي جعلت كلمات الخطبة قاطعة كالسيف لأنّ الكلمات لا تمتلك سلطة بما هي كلمات مجردة أو عبارات مركبة, بل تكتسب السلطة من آليات توظيفها والسياقات التي تُجعل فيها فالمتكلّم إن كان صاحب سلطة سياسية أو دينية أو تعليمية ... يتأطر كلامه بإطار سلطة وتكتسي عباراته قوة ينقاد المتلقي اتجاهها منفذًا ما تطلبه منه الكلمات.

5- عوامل التأثير في الخطاب:

ظلّ الغرض الرئيسي وهدف الخطبة حاضرًا في ذهنية المتكلم فتوسل بكل ما من شأنه تحقيق الغرض وإنجاح الخطبة, والكلام على التأثير يدفع بنا للبحث في مفهوم التأثير, والراجح أن مفهومه يتحدد بالآتي:

1- الأثر الذي يتركه الفعل الإنجازيّ في نفس المخاطب؛ مثل الإقناع, أو توقع أن يقوم شخص ما بشيء ما.
2- القيمة التي يضيفها المتكلّم إلى كلامه.
3- إقناع المخاطب بالمحتوى القضويّ للكلام.
4- تسليط المحتوى القضوي للكلام على الحالة النفسيّة للمتكلّم بما يخدم قصده.

أما العوامل الصانعة للتأثير فقد كانت على نوعين: عوامل خارجيّة وعوامل داخليّة, فمن العوامل الخارجيّة أنه اختار الزمن والمكان المناسبين تبعاً لمقاصده في التأثير في المخاطب - بالمقابل وقد ذُكرت في سابق البحث-. أما من حيث العوامل الداخليّة فنجدها على نوعين: حجج شبه منطقية, ووسائل لغوية, فأمّا الحجج شبه المنطقية نذكر منها: التضاد والمقابلة اللذان أشار إليهما بيرلمان حينما بيّن التقنيات الحجاجية[5], وتتضح هذه العلاقة حينما يقارن بين نوعين من الناس بين المؤمن المطيع لله وبين آخر لا يلتزم بأوامر الله, يقول: ((حينما يشعر أن حركته إيمانه سلوكه سيرته دعوته للإصلاح تحت رعاية الإمام ونظره وأنه حينما يطلع على سيرة فلان وفلان وتحركهم يكون مسرورًا, يحظى برعاية الإمام سلام الله عليه, ولكنه حينما يجد هذا الإنسان بعيدًا عن طاعة الله تعالى وبعيدًا عن الانقياد بتوجيهات الإمام وبمنهج الإمام سلام الله عليه جامدًا

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

فاشلاً لا يتحرك يائسًا ليس له الأمل لا يتحرك نحو الإصلاح والقيام بالواجبات الدينية هذا يؤذي الإمام ويجعله في هم وحزن)).

ومن هذه الحجج الشبه المنطقية التعريف, وهو أن يعمد المتكلّم الى تعريف المفاهيم وضبط الحدود أو الأشياء من أجل توضيحها للمخاطب؛ ليتحصل بعد هذا على إقناعه, فالفهم طريق الإقناع, لأن أهم عناصر الحجاج الإفهام والفهم, فلا يمكن أن يكون هناك اقتناعاً ما لم يسبقه فهم للكلام[6], وقد عمد الخطيب لأكثر من مرة إلى تعريف مفهوم (الوجوب الكفائي) فحدّه بأنّه ((بمعنى أن من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين)).

ومنها التعليل, الذي يستعمله المتكلّم لتوضيح القضايا وتبيان أسبابها, ومنها قوله: ((إنّ دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه)), فهو يبين سبب جعل الدفاع مقدسًا, بالنظر إلى حقيقة الجهة المقابلة للقوات المسلحة, وهي الجماعات التكفيريّة, فهي مجاميع بعيدة كلّ البعد عن روح الاسلام, رافضة للتعايش مع الآخر, تعتمد العنف والحروب الطائفية, فالتعليل هنا استعمل أداة إقناعيه لحث المخاطب للانضمام الى القوات المسلحة والمشاركة في الدفاع المقدس الذي تمارسه القوات الأمنية.

وبهذا يتبين نجاعة البرهان والتعليل والحجة في التأثير على مواقف المتلقين وسلوكهم ، وذلك يجعله يتقبّل ملفوظاً معيّناً أو نتيجة معيّنة بالارتكاز على ملفوظ أو ملفوظات أخرى (معطاة، سبب، برهان) والشكل النموذجيّ القاعديّ للبرهنة أو الحجاج يتمثّل في الربط بين المعطيات والنتيجة، كما أن هذا الربط يمكن أن يكون مؤسّسًا صراحة أو ضمنيًا بواسطة ضامن أو سند، وتكون المعطاة هي الظاهرة والسند هو المضمر في أغلب الأحيان، أمّا العناصر الأخرى المكوّنة للمقطع الحجاجيّ فهي تتأرجح بين الظهور والإضمار[7].

أما الوسائل اللغوية فالسمة البارزة في أسلوب الخطيب التي تولّدت في الخطاب, بحسب الغرض التخاطبي والوظيفة التي يؤديها الخطاب, هي استعماله الأسلوب المباشر والابتعاد عن الاستلزامات الحواريّة أو الضمنيات القوليّة حتى لا يخضع الكلام إلى التأويل من المتلقي والمخاطب, فإن أي تأويل سيحرف الخطاب عن مقصده الحقيقيّ, وعن أداء وظيفته الإقناعية التي سيق من أجلها, وأبرز هذه الوسائل الناجعة في خلق التأثير المنشود هي:

5-1- الفعل اللغويّ:

إنّ القوة التأثيرية الكامنة في الفعل اللغويّ تخدم مقاصد الخطاب وأغراضه؛ فتوجيه الكلام نحو المخاطب يترك أثره في المشاعر والأفكار وتصرفات المتخاطبين, أو على تصرفات المتكلّم نفسه, أو على شخص آخر سمع بالخطاب عن طريق الواسطة.

والفعل اللغوي أنواع متعددة, يستعمل المتكلم منها النوع الناجع والذي يتماهى مع الغرض من الكلام ويؤدي إلى إحداث التأثير المطلوب في قناعات وسلوك المتلقين, وغرض خطبتنا والقصد منها فرض على المتكلم استعمال التوجيهيّات, التي هي نوع من أنواع الفعل اللغوي والغرض منها حمل المخاطب على أداء عمل مُعيّن, ويكون فيها اتجاه المطابقة, من العالم إلى القول؛ أي: إنّ العالم ينبغي له أن يكون مطابقًا للقول أو يُطلب مطابقته, نحو: أطلبُ, أدعو, أرجو[8].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

وتتمثل أبرز صور هذا النوع في خطبتنا بـ(الاستفهام, والأمر), فهذه الأفعال اللغويّة تحمل قيمة توجيهيّة مباشرة؛ لأنها ((تعد ضغطاً وتدخلاً, ولو بدرجات متفاوتة, على المرسل إليه, وتوجيهه لفعل مستقبلي معيّن))[9], فكثر في الخطاب استعمال اسمي الاستفهام (كيف, وما), منها قول الخطيب: ((ما المطلوب منا حتى نبقي لهذا الكيان قوته وقدرته على المواجهة؟ نحن نحتاج هنا أن يوصي بعضنا بعضاً بالصبر والثبات والصمود والاستعداد للتضحية والعمل على التمسك بأحكام الشرع الحنيف والتحلي بمكارم الأخلاق والانقياد لتوجيهات الإمام وطاعته في كل شيء)) , إنّ الاستفهام هنا يتخذ مسلكاً تقريرياً غرضه تبيين القضية المستفهم عنها, فلا ينتظر المتكلّم جواباً عن سؤاله هذا؛ إنّما الجواب سيعرضه بعد حين, وإنما سيق الاستفهام هنا لإدامة الحوار وشد انتباه المتلقي وديمومة هذا الانتباه لعظيم الأمر المثار في الكلام, وقد نجح الخطيب في غرضه هذا بتكرار الاستفهام والإجابة عن القضية المستفهم عنها، ومنه أيضاً قوله: ((كيف نوصل حبل الطاعة حبل الولاء بالإمام الذي لا نستطيع الاتصال به مباشرة؟ الإمام عليه السلام قال أنا أعين لكم حججاً لي عليكم إن اطعتموهم إن امتثلتم إليهم إن عملتم بما أرشده إليكم فإنكم حينئذ ستكونون من الذين وصلوا حبل طاعة الإمام بحبل النبي بحبل الله تعالى وهم الفقهاء العدول مراجع الدين العظام))، وفي هذا تتبين القيمة الحواريّة لهذا الأسلوب الذي ((جاء ليؤدي وظيفة تداولية تتمثل في إقناع المتلقي من خلال خروجه إلى الأغراض المذكورة, كما أنه من جهة أخرى وباعتباره فعلاً كلاميًا مكررًا في ذاته يؤدي هذه الوظيفة الإقناعية))[10].

والصورة التوجيهيّة الأخرى هي الأمر, لكن الأمر هنا لم يستعمل فيه فعل الأمر الصريح, بل استرفد الخطيب جملة من الأسماء والأفعال ذات الدلالة الإلزامية, وهذا عائد إلى مراده وهو أن يستشعر المخاطب أن القضايا المطروحة والمسائل المذكورة ذات اهتمامات مشتركة بين المتكلّم والمتلقي, وأنّ الحراك المطلوب لا يقتصر على المتلقي فقط؛ بل إن المتكلّم مسلط عليه الواجب نفسه, وهذا الفهم يخلق حالة نفسية عند المتلقي تجعله يتأثر بالكلام ويقتنع بمطالب الخطيب, وهو المراد وقد نجح الخطيب في غايته هذه.

استعمل الخطيب بدلاً عن فعل الأمر الصريح كلمات دالة على الأمر سواء كانت أفعالاً أم أسماء, نحو: (يجب, المطلوب, عليكم, لا يجوز, لابد), من هذا قول الخطيب: ((المطلوب أن يحثَ الأب ابنه أن تحثَ الأم ابنها أن تحثَ الزوجة زوجها على الصمود والدفاع عن المحرمات هذا البلد ومواطنيه))، ينتقل الخطيب في عبارته هذه إلى مخاطبة الدائرة الأوسع وهو المجتمع بعوائله بانتماءاته مطالبها بأن لا تقف حجرًا أمام إعداد المجاهدين والمقاومين, ويجب أن يبدأ الاستعداد من البيت؛ كيما تُزرع في الأفراد روح المقاومة والاستعداد لمواجهة الصعاب. وقوله: ((إنّ على المواطنين الذين تتوفر فيهم هذين الشرطين الذين يتمكنون من حمل السلاح أولاً ومقاتلة الإرهابيين ثانيًا دفاعًا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم, عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية تحقيقاً لهذا الغرض))، سلّط الخطيب أمره على من اتصف بهذين الوصفين (معرفة فنون القتال وأساليب الحروب, والقدرة على مقاتلة الإرهابيين), وهو أمر حدد فيه المقصودين في الخطاب مباشرة, وهو تحديد اكتشف المتلقي بوساطته المشمولين بالوجوب الكفائي, من غير تأويل أو إعمال لأليات الاستلزام الحواريّ.

والأمر هنا وإن لم يستدع فعل الأمر صراحةً لكن صورة الأمر والإلزام واضحة جلية وقد وردت على الأرجح من معاني الأمر ((كونه يجعل التلفظ من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب))[11], وهي قد تأطرت بالسلطة الدينية

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

التي يمتلكها الخطيب مما جعل الأمر إلزاميًا, وهنا لم يترك الخطيب للمتلقي مجالاً لاستعمال التأويل أو محاولة إعادة قراءة المنطوق لفهم مقاصد المتكلم.

ولا تعتمد القوة التأثيريّة للفعل اللغويّ على المنجز القوليّ فحسب؛ بل يضاف إليها الافتراضات المسبقة في ذهن المتخاطبين, كل هذا نلمسه في حديث الخطيب عن الخطر المحيط بالعراق, قال: ((إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه)), عمد المتكلم إلى استعمال لفظة (طبيعة), بُنيَ على أساس فهم المخاطب لها, فالمخاطب عالم بأوضاع العراق السياسية والعسكرية وشاهد عليها, وهذا العلم جعل المتكلّم يكتفي باستعمال المفردة الواحدة لتثير عند السامع صوراً وأحداثاً حاضرة في ذهنه.

2-5- العوامل والروابط الحجاجية:

تنتشر في لغة التخاطب الطبيعية أدوات وظيفتها هي الربط الحجاجي بين قضيتين, عرفت هذه الأدوات بأنها ((لفظ لا يدل بحدّ ذاته على أي معنى, وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها, وهو لا يصلح أن يكون موضوعًا ولا محمولاً في القضايا المنطقية))[12] , وأبرز هذه الأدوات هي (بل , ولكن) التي أخذت حيزاً لافتاً في كلام الخطيب, وتمتاز هاتان الأداتان بأنهما تعملان تعارضًا حجاجيًا بين ما يتقدم الرابط وما يليه, وتكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى وهي توجه القول والخطاب برمته[13].

من هذا قوله: ((وإن الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط؛ بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات)), إن الإخبار بالنفي عن عزم الارهابيين احتلال بعض محافظات العراق سيظل كلاماً غير منطقي عند المتلقي, كيف وهو يشهد أن الارهاب احتل هذه المحافظات وهو يزحف لاحتلال غيرها, هذا الشد الذهني الذي قصده الخطيب لا تنفك غوامضه إلا باستعمال الرابط الحجاجيّ (بل), الذي يستعمل للحجاج والإبطال فقد أبطل الحجة الأولى التي قدمها الخطيب, وهي إن الإرهابيين لا ينوون احتلال بعض محافظات العراق, وأثبت الحجة الجديدة وهي إن الإرهابيين يتجهون لاحتلال العراق بأكمله, وهي الحجة الأقوى والتي صارت هي مقصد الخطيب من كلامه. وفي هذا تحذير للمتلقي يقصد منه الخطيب رفع حالة الاستعداد الكاملة لمواجهة العدو, وهو عدو قريب يحتمل وصوله إلى أي منطقة في العراق.

ومن استعمالات الرابط (لكن) قول الخطيب: ((بقاؤنا على الإيمان الحقيقي الصادق الصحيح بالله تعالى وبالنبي وبالأئمة إنما من خلال الالتزام بمنهج وطاعة هؤلاء المراجع, يقول[14] لما بقي أحد إلا ارتد عن دينه, ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها)), قدّم الخطيب حجتين الأولى (كل منكم سيرتد عن دينه), والثانية (المراجع يمنعون الناس عن الردة), وتوسط الرابط الحجاجيّ (لكن) بين هاتين الحجتين مفيدًا أبطال الأولى واثبات الثانية وجعلها هي المقصودة من الكلام, فقد غيّر الرابط الحجاجي مسار القول واتجه به جهة مغايرة لجهته الأولى فصار وجود المراجع هو الحافظ والحامي دين الناس, فديمومة الخط الدينيّ الشيعيّ ترتبط ارتباطاً مباشرًا بالمرجعيّة, وقد خلقت هذه المكانة العاليّة للمرجع طاقة تأثيريّة في الخطاب الموجه نحو الجمهور, فقد نجح في تثبيت هذه النتيجة, وعدل بذهنهم عن الحجة الأولى وهي امكانية الانحراف عن جادة الصواب باستعمال (لكن) لأنّ ((الدليل الذي يرد بعد (لكن) يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله, وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله, فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته))[15], وبعد أن ثبتت هذه الفكرة في ذهن المتلقيّ صار كلام المرجع هو الموجه نحو الصلاح وهو الكفيل بحفظ الدين.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

3-5- السلم الحجاجي:

يُعد السلم الحجاجي من أسس الاحتجاج والتأثير في الآخر, إذ ((يتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها, إذ لا يثبت, غالبًا إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق. ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه))[16], وهو يقوم بترتيب الحجج ترتيبًا عموديًا تصاعديًا من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى في فئة حجاجية واحدة. وإن عدنا لخطبتنا وجدنا أن الخطيب تعرض في كلامه لثلاث فئات حجاجية كوّنت السلميات الحجاجية, نوردها على النحو الآتي:

السلمية الأولى هي ترتيب خطبته على وفق فقرات تتصاعد أهميتها فقرة فقرة حتى يصل الخطيب إلى الفقرة الأخيرة من الخطبة الأولى فيقول: التوصية الأخيرة المهمة, فيتبين أن فرضيات الخطبة الدينية الأولى رتبت على وفق السلمية الآتية:

النتيجة: قول المراجع مرتبط ارتباطاً كاملاً بالإمام الغائب.

ح5 في حال غيبة الإمام ترتبط الأمة ارتباطاً مباشراً بالمراجع الدينيّة.

ح4 الإحساس ببركات الإمام صلوات الله تعالى عليه حتى لو كان غائباً.

ح3 تقوية الارتباط الوجداني بالإمام عليه السلام والتفاعل العملي مع أهدافه.

ح2 حينما يتعرض مصير الناس والبلاد إلى خطر شديد يجب عليهم تحمل الشدائد والصبر.

ح1 ما الوسائل الكفيلة التي تربطنا بالإمام الغائب؟

النظر إلى هذا السلم الحجاجيّ يبين أن الخطيب بدأ بالحجة السهلة اليسيرة المتسالم عليها عند كثير من المؤمنين, فهذه الحجة (الاحتفال بميلاد الإمام الغائب), تتكرر كل سنة والاحتفال بها من الطقوس التي جبل عليها الشيعة, ثم بدأت الحجج تتصاعد قوة في سبيل لفت أنظار المتلقي إلى الحجة الأقوى والتي هي الأساس من هذا العرض, والحجة الثانية مثلت الارتباط الروحي والمصيريّ بالإمام الغائب حين تعرض الناس الى خطر شديد, وهو أيضاً ما تكفلت به الحجة الثالثة, وبعد هذا انتقل الخطيب الى الحجة الرابعة التي مثلّت تمهيدا للحجة الأقوى وهي الإحساس ببركات الإمام وإن كان غائبًا, وما دمنا نحس بهذه البركة ونستشعرها فمن الأولى أن نحس بنواب الإمام ونرتبط بهم فهم ممثلون له, هذه الحجة الأقوى ونتيجة هذا العرض لهذه الحجج, وقد أراد بها الخطيب أن يجعل ذهن المتلقي مهيأ لما يقوله نائب الإمام وكأنه صادر من الامام نفسه.

السلمية الثانية هي ترتيب الأشياء التي يدافع عنها المواطنون (عسكريون ومدنيون) , فقد وردت على النحو الآتي:

النتيجة: يجب على الإنسان أن يضحي بماله وأرضه في سبيل دينه.

ح3 المقدسات

ح2 الشعب (الإنسان)

ح1 العراق (الوطن)

من خلال هذه السلمية ينكشف أن المنحى الدينيّ والعناية بالمقدسات أكثر ضرورة من حفظ الإنسان ووطنه؛ فقد ارتقت المقدسات أعلى السلم كونها وردت لأكثر من مرة في نهاية الترتيب القوليّ عند الخطيب, فقال: ((الدفاع عن حرمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات عن الهتك))؛ إذ إنّ المواطن يضحي في سبيل دينه أولى من تضحيته في سبيل وطنه وبلده, وهذا يعيدنا إلى سنة 2003, حينما بدأ الاحتلال الأمريكي للعراق فإننا لم نلحظ صدور فتوى لقتال الاحتلال وللتصدي له, والراجح أن المراجع في ذلك الوقت لم يستشعروا خطراً على المقدسات بخلاف ما استشعروه اليوم من خطر يهدد الإسلام عقيدة وعبادة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

السلمية الثالثة هي ترتيب قضايا الخطبة الثانية بحسب الأهمية فقد وردت على النحو الآتي:

النتيجة: يجب القتال على كلّ من يستطيع حمل السلاح, حتى تكتفي القوات المسلحة من العدد.

ح5 المشاركة في القتال واجب كفائي

ح4 من مات يموت شهيدًا

ح3 الدفاع واجب مقدس

ح2 الشعب قادر على التصدي لهذا الخطر

ح1 الخطر يشمل العراق كله

تتعرض هذه السلمية للحجج التي احتج بها الخطيب في سبيل خلق جمهور من المتلقين يطيع الأمر الصادر, الذي هو نتيجة هذه الحجج المقدمة, وهو (يجب القتال على كلّ من يستطيع حمل السلاح, حتى تكتفي القوات المسلحة من العدد), وهو في سبيل أن يصل بالمتلقيّ إلى هذه النتيجة وهو مقتنع قابل بها ملبٍ طلبَ الخطيب, لابد عليه أن يمهد بحجج أضعف ثم يتدرج للحجة الأقوى, فبدأ بالحجة الضعيفة المعلومة لدى كل المخاطبين وهي أن العراق معرضٌ لخطر شامل, ثم ينتقل إلى قدرة الشعب العراقي على التصدي لهذا الخطر, ثم يبين حقيقة هذا الدفاع, هل هو دفاع غايته دينية أو دنيوية؟ يجعل الخطيب الدفاع دفاعًا مقدسًا, والارتباط بهذا المقدس لابدّ أن يكون ارتباطاً عظيمًا وشريفًا وهو ما يتطلب أن يكون كلُّ من يشارك في هذا الدفاع ويستشهد ينال المرتبة العليا التي يبحث عنها المؤمنون وهي منزلة الشهيد, الذي يعيش خالدًا في الجنة مع الأنبياء والأوصياء الصالحين, هذه الحجج نستطيع تسميتها حججًا تمهيدية للحجة الأقوى, وهي كون القتال واجب كفائي على كل من يستطيع حمل السلاح.

تراتبية الحجج وظهور النتيجة أمام المتلقي خدمة الخطيب في نجاح مقاصده التخاطبية, التي هي تحريك مشاعر الناس وأحاسيسهم نحو المشاركة في التصدي لقتال الجماعات الإرهابية.

5-4- القيمة التأثيرية للتضمين:

يمكن تحديد التضمين بأنه ((اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنيوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين))[17], ويتجه المتكلّم لاستعمال مسلك التضمين في كلامه, لما يعتقده من قيمة تأثيريّة في النص المقتبس, وتتباين هذه القيمة الخطابيّة وتحديد نوع النصوص المقتبسة تبعًا لمكانته لدى المتلقين, وما دام جمهور المتلقين لكلام الخطيب من عامّة المؤمنين الذين يقدسون القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام فقد انفتح الخطاب على نوعين من النصوص, هما:

1- القرآن الكريم.

2- أحاديث أهل البيت.

فنجده يقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة 214) وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة190). عمد الخطيب إلى هذين الآيتين لأنهما يدعمان حجته ويقويان أدلته المقدمة سلفًا وبهذا يتحصل تفاعل مع مضامين قرآنية أكسبت الخطبة حجة تدفع المتلقي إلى التأثر والاقتناع بما يطرحه الخطيب, وقد تأتى توظيف هذين النصين للخطيب من كون الأوّل يصور للمتلقي أنّ دخوله الجنة ليس بالأمر الهين أو اليسير؛ بل هو طريق تعتريه صعاب جمة عليه أن يتجاوزها وينجح في الاختبار

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

حتى تكون الجنة مثواه, وعليه فإنّ المتلقي المنصت للخطبة الرامي لدخول الجنة لابدّ عليه من أن يتحمل شدائد الحروب ويصبر على الألم وعلى مصائب الدهر, حتى يكون من أولئك الذين استحقوا نصر الله.

أما النص الثاني فيوظفه الخطيب نحو غاية توجيهية للمقاتلين الذين تصدوا لأمر قتال الإرهابيين فعليهم أن يتخذوا من القرآن دستوراً حربياً وموضحًا لآليات القتال وان لا يتأثروا بفعل الإرهابيين فيعملوا كما يعملوا أو يقاتلوا بالصورة الشيطانيّة التي يقاتل بها الإرهابيين من قتل للأطفال والنساء وللناس الآمنين.

أما التضمين من الحديث النبوي الشريف فقد ذكر حديثاً عن الإمام المهدي في رسالته الأولى للشيخ المفيد (ت413ه) يقول: ((فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء))[18]. تتجلى القيمة التأثيرية لهذا الحديث من كون الإمام الغائب لا يغفل عن رعاية شيعته والعناية بأمورهم وما يحتاجون إليه, الأمر الذي أضفى إلى ربط مشاعر المتلقين وأحاسيسهم بالإمام ربطاً استرخصوا الغالي والنفيس وصارت التضحية لديهم أمنية يتسارعون في تحقيقها, وقد بدا هذا واضحًا من الهتافات والصلوات التي رفعت في العتبة الحسينية مقاطعة كلام الخطيب أكثر من مرة.

أما الحديث الآخر هو عن الإمام الحسن العسكريّ (ت260ه) : قال: ((لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها, أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل))[19].

هذا الحديث من النصوص المهمة التي بنا الخطيب خطبته عليها, وأسس حجته عليه, فهو يقدمه دليلاً قاطعًا على أنّ المراجع هم حماة الدين وهم مؤيدون بتأييد الله, وينتج عنه أن كلامهم حجة وقولهم صدق, ومن هنا فكلام المرجع في وجوب الجهاد الكفائي حجة كونه صادراً عن العلماء الداعين إلى دين الله والذابين عنه.

وقد ظهر بهذا أنّ للحديث سلطة رمزيّة على الخطيب وعلى المتلقيّ مما أكسبت كلام الخطيب قيمة خطابيّة تأثيريّة, انتفع بها في توجيه المتلقي الجهة التي يرنو لها. ونجاحه هذا في توظيف التضمين يعود إلى معرفته بالقيمة التأثيريّة التي تتضمنها النصوص القرآنيّة والحديثيّة وهذا ما يفرضه الواقع التخاطبي على العموم؛ لأنّ ((مؤسس الخطاب الحجاجيّ – أياً كان هذا الخطاب- يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه, ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي فيوظفها بطريقة ذكية تُمكن من الإقناع, والحمل على الإذعان))[20], والمتلقي أيضًا يعي القيمة العالية للقرآن الكريم والأحاديث التراثيّة الصادرة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو من آله.

6- الخاتمة:

دراسة خطبة تُنسب إلى الاتجاه الدينيّ مرة والاتجاه السياسيّ مرة أخرى أو تمزج بين الاتجاهين معًا, يلزم منه أن تكون نتائجها مزيجًا بين الدينيّ والسياسيّ ولذا فقد كانت النتائج التي خلصنا لها بتحليلنا, هي على النحو الآتي:

1- إن الخطاب الدينيّ لا يمكن أن يكون خطابًا مؤثرًا إلا إن اتصف بالآتي:

أ- الصدق, فهو معيار من الضروريّ أن يتصف به المتكلّم.

ب- الربط بالمقدس, لا ينجح الخطاب الدينيّ إن لم يكن هناك مقدس مشترك بين المتكلّم والمتلقي حاضر في بنية الكلام.

ت- أن يمتلك المتلقي المقدرة على الانفعال مع المتلقيّ, وهذا يعود إلى الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يعيشها المتلقي.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

2- لا يمكن عد الخطاب ذا سلطة إن لم يكن صادرًا عن متكلّم يتصف بها.

3- يجب على الخطيب مراعاة الظروف البيئية (الزمان والمكان) والاجتماعية حينما يروم توجيه خطابًا مقاصده تأثيريّة؛ كيما يكون خطابًا ناجعًا وناجحًا.

7- الهوامش:

[1] الخطبة غير مرقونة وهي مرفوعة على الرابط الالكتروني: https://www.youtube.com/watch?v=xv_plzPohYg

[2] الخطابة نشأتها وميادينها, د. محمود محمد رسلان, دار التقوى للطبع والنشر, ط3, 2006م: 80.

[3] الخطابة, أرسطو طاليس, ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي, وكالة المطبوعات –الكويت ودار القلم- بيروت 1979: 9-10.

[4] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة, عبد الهادي الشهري, الكتاب الجديد, ط1, 2004 م.: 224.

[5] الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر, زكريا السرتي, عالم الكتب الحديث, الأردن, 2014م: 60.

[6] أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, تونس, كلية الآداب – منوبة, سلسلة آداب, فريق البحث في البلاغة والحجاج, إشراف حمّادي صمّود, (د.ت) : 327.

[7] نموذج المقطع البرهاني (الحجاجي)" عبد القادر بوزيدة مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12، 1997، ص 306-307.

[8] ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعيّ, جون سيرل, ترجمة: سعيد الغانمي, منشورات الاختلاف, والمركز الثقافي العربيّ, ط1, 1427هـ- 2006م.: 217- 219.

[9] استراتيجيات الخطاب: 322.

[10] الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث, مجلة التراث العربي, ع 89, مارس 2003م: 216.

[11] نظريّة أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, جون لانجشو أوستن, ترجمة: عبد القادر قنيني, دار إفريقيا الشرق, ط1, 1991م.: 91.

[12] الشمسية في القواعد المنطقية, تحقيق: مهدي فضل الله, المركز الثقافي العربي, ط1, 1998م: 48.

[13] اللغة والحجاج, د. أبو بكر العزاويّ, العمدة في الطبع, الدار البيضاء, ط1 , 2006م : 57.

[14] الخطيب هنا ينقل كلاماً للإمام الهادي عليه السلام, وسنتطرق إليه لاحقاً.

[15] الحجاج والشعر , نحو تحليل حجاجي لنص شعري, أبو بكر العزاوي (بحث), مجلة دراسات, المغرب, ع7, 1992م: 374.

[16] استراتيجيات الخطاب: 499- 500.

[17] استراتيجية التناص في الخطاب الشعريّ الحديث, محمود جابر عباس, علامات في النقد, نادي جدة الأدبي, شوال1423هـ :266.

[18] الاحتجاج, أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس), انتشارات الشريف الرضيّ, : ج2 ص324 – 325, وقد ضبطنا الحديث بحسب المصدر لا بحسب كلام الشيخ, لأن كلامه فيه سقط لبعض مفردات الحديث.

[19] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) - تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج):116, وقد ضبطنا الحديث بحسب المصدر لا بحسب كلام الشيخ, لأن كلامه فيه سقط لبعض مفردات الحديث.

[20] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية حتى القرن الثاني للهجرة, بنيته وأساليبه, سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ط1, 2016: 237.

8- المصادر:

- الاحتجاج, أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس) انتشارات الشريف الرضيّ, طهران, د.ت.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة, عبد الهادي الشهري, الكتاب الجديد, ط1, 2004 م.
- استراتيجية التناص في الخطاب الشعريّ الحديث, محمود جابر عباس, علامات في النقد, نادي جدة الأدبي, شوال1423هـ .
- الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث, مجلة التراث العربي, ع 89, مارس 2003م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, تونس, كلية الآداب – منوبة, سلسلة آداب, فريق البحث في البلاغة والحجاج, إشراف حمّادي صمّود, (د.ت) .
- التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) - تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج),

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

• الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر, زكريا السرتي, عالم الكتب الحديث, الأردن, 2014م.
• الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية حتى القرن الثاني للهجرة, بنيته وأساليبه, سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث, ط1, 2016.
• الحجاج والشعر, نحو تحليل حجاجي لنص شعري, أبو بكر العزاوي (بحث), مجلة دراسات, المغرب, ع7, 1992م.
• الخطابة نشأتها وميادينها, د. محمود محمد رسلان, دار التقوى للطبع والنشر, ط3, 2006م.
• الخطابة, أرسطو طاليس, ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي, وكالة المطبوعات –الكويت ودار القلم- بيروت 1979.
• الشمسية في القواعد المنطقية, تحقيق: مهدي فضل الله, المركز الثقافي العربي, ط1, 1998م.
• العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعيّ, جون سيرل, ترجمة: سعيد الغانمي, منشورات الاختلاف, والمركز الثقافي العربيّ, ط1, 1427هـ- 2006م.
• اللغة والحجاج, د. أبو بكر العزاويّ, العمدة في الطبع, الدار البيضاء, ط1 , 2006م .
• نظريّة أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام, جون لانجشو أوستن, ترجمة: عبد القادر قنيني, دار إفريقيا الشرق, ط1, 1991م.
• نموذج المقطع البرهاني (الحجاجي)" عبد القادر بوزيدة مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12، 1997.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548